مغامرات هكلبري فين

لقد قرأت رواية مغامرات هكلبري فين أكثر من مرة، و في كل مرة كنت أجد فيها نفس المتعة و التشويق، و هذا ما دفعني للبحث أكثر عن تاريخ مؤلف الرواية، وعن أهمية هذه الرواية التي تحيا بالرغم من أنها كتبت منذ 126 عاما، و مازالت قيد الدراسة في العديد من أنحاء العالم

مؤلف الرواية:

إن مؤلف هذه الرواية من أشهر المؤلفين في القرن التاسع عشر. إنه المؤلف الامريكي مارك توين أو صمويل لانجهورن كليمنس (الاسم الحقيقي) الذي ولد في عام 1835 م، وتوفي عن عمر يناهز 75 عاما في عام 1910 م، تاركا وراءه مجموعة من أروع القصص الأدبية في تاريخ الأدب الأمريكي الكلاسيكي، ومن أشهرها وأندرها "قصة مغامرات هكلبري فين" التي نتكلم عنها في هذا المقال. لقد مرت حياة مارك توين بالعديد من المنحنيات والتحديات الصعبة، حيث بدأ حياته فقيرًا، وعمل بالطباعة، ثم عمل بالبحر، ثم بالصحافة، إلى أن أصبح أديبا معروفا، ولكنه أنهي حياته حزينًا علي زوجته وأبنائه الذين توفوا، وترك لنا تراثًا من الأدب الكلاسيكي الجميل.

رواية مغامرات هكلبري فين

لقد صدرت هذه الرواية في عام 1884، وهي تعتبر الجزء الثاني من رواية مغامرات توم سوير التي صدرت في عام 1876 م ، وحتى يكتمل استمتاع القارئ بهذه الرواية استمتاعا كاملا فيجب عليه قراءة الروايتين. إن هاتين الروايتين وخاصة روايتنا مغامرات هكلبري فين التي نتحدث عنها، من الروايات التي عندما تبدأ في قراءتها لا تستطيع أن تتركها حتى

تنتهي منها من شدة الإثارة وسرعة إيقاع الأحداث التي يواجهها أبطال الرواية. لقد جاءت الرواية في ثلاثة وعشرين فصلا وهي من روايات المغامرات الطريفة والمثيرة ذات الخط الدرامي السريع والمميز والمواقف المتلاحقة التي يصادفها بطلا الرواية توم سوير وهاكلبري فين والتي أظهرت مدي قدرة كاتبها وخياله الخصب الرائع والذي أوجد حلولا غير عادية لكثير من أحداث ومخاطر الرواية.

أحداث الرواية ممتعة ومتنوعة من حيث الأماكن والأخطار والأزمات، حيث تتغير المدن باستمرار، وتتغير الأخطار علي اليابسة وفي النهر، وفي الكهوف. وهي في الحقيقة تحكي أحداثًا حقيقية، وتحكي عن أشخاص صادفهم المؤلف مارك توين أثناء عمله بحارًا.

وإن أبرز ما يدل علي أن هذه الرواية ما زالت حية في القلوب والأذهان هو ما يقوله الكاتب الامريكي رون باورز في مقال عن الرواية " إن الرواية في اعتبار الملايين لا تزال ماثلة كأعظم رواية ألفها كاتب أمريكي" كما ذكر أيضا أن عدد النسخ المبيعة سنويا من هذه الرواية يقارب 200 ألف نسخة، و هو ما يفوق أغلب الروايات الحديثة، وذلك رغم مرور كل هذه العقود علي نشر الرواية كما أنها ترجمت إلي 50 لغة، وصدر منها أكثر من 700 طبعة، والدليل الأبرز علي تأثر الناس بالرواية هو زيارة مئات الآلاف من السائحين سنويا لمدينة هانيبال في ولاية ميسوري، وهي المنطقة التي شهدت بداية أحداث الرواية، وهي أيضا المنطقة التي عاش فيها مارك توين.

عمق أفكار الرواية

رغم مرور كل هذه السنوات، ورغم الكثير من الكتب والأبحاث والمقالات التي جرت وما زالت تجري عن هذه الرواية، فدائمًا ما تجد الجديد في عمق الأفكار التي تناولتها الرواية، والإيماءات الساخرة التي اشتهر بها الكاتب مارك توين.

إن هذه الرواية تمثل نقدا لاذعًا وساخرًا للحياة في الولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب الأهلية، فهي تنتقد التقاليد والعادات الاجتماعية السائدة، كما أنها تنتقد النظرة التي كان ينظر بها المجتمع الأمريكي في هذا الوقت إلي ذوي البشرة السمراء علي أنهم دون البشر وأنهم عبيد لا حقوق لهم. وكان مشهد هروب (جيم) مع (هكلبري) علي الطوف، وهو هذا الشاب ذو البشرة السمراء والذي كان خادما لمسز واطسون ومالكة حريته، وهذا المشهد يمثل مشهدا للهروب نحو الحرية، وهو من أعظم مشاهد البحث عن الحرية في كل الروايات الامريكية.

كما كانت علاقة (هكلبري فين) بـــ (جيم) تمثل خطا دراميا هاما بالرواية، حيث إنه كان يعامله أولا علي أنه العبد الذي يخدمه بتفاني وإخلاص، وينظر له نفس نظرة المجتمع الذي نشأ عليها علي أنه لا حقوق له، ولكن عندما توالت الأحداث وعندما أصبحا صديقين فوجئ (هكلبري) بأنه شخص مثقف ذو مشاعر رائعة وأخلاق حميدة وشعر معه بمعني الصداقة الحقيقية، و عاشا معا العديد من المغامرات أدت الي إنقاذ كل منهما للآخر، وأتي المشهد الأخير الذي ضرب فيه (هكلبري) بكل ما تعلمه عرض الحائط و ذهب الي إنقاذ (جيم) عندما تم بيعه في إحدى الحانات، وذهب وأنقذ جيم ليحصل علي حريته.

ومن ضمن ما تضمنته الرواية أيضا هي السخرية والإيماءات اللاذعة الناقدة لدور الأوروبيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الدور الذي كان قد بدأ في التقلص في هذه الفترة، وقد ظهر هذا في شخصية كل من الدوق الانجليزي والآخر الملك الفرنسي، واللذين ادعيا هذه الأمور، واتضح في حقيقة الأمر أنهما محتالان، وهو مشهد ساخر ينتقد ويسخر من دور الأوروبيين في أمريكا في تلك الفترة .

اتهامات وجهت إلى الرواية:

منذ نشر الرواية وهي تعتبر أول رواية أمريكية تنشر باللغة العامية الشعبية، وُجِّهَت للرواية انتقادات عديدة علي اللغة التي صدرت بها الرواية، ومع نجاح الرواية وازدياد نجاحها زادت الاتهامات والانتقادات التي وجهت للرواية، حيث قيل إنها رواية عنصرية، تم ذكر كلمة (زنجي) فيها كثيرًا وبالضبط 211 مرة، وهي كلمة عنصرية توجه للأشخاص ذوي البشرة السمراء، بل تم منع تدريس أو قراءة هذه الرواية في المدارس الأمريكية علي مدار أربعين عامًا بسبب هذا الاتهام. وقد كان الرد علي هذه الاتهامات بصمود الرواية و تحديها رغم وفاة كاتبها منذ قرن كامل، وما زالت تحيا في القلوب. لقد كان في استخدام هذه اللغة ركنا من أركان الرواية، وللزيادة في السخرية والنقد لهذه الفترة الزمنية وكنوع من أنواع التحرر الذي دعت إليه الرواية.

كما أن دفاع الرواية عن العنصرية والتمييز كان واضحا خلال أحداث الرواية، حيث إن من أهم أبطال وشخصيات الرواية هو الخادم (جيم)، والذي تمتلكه مسز واطسون، والذي أظهر مدي المشاعر والإخلاص والقيم والأخلاق التي تمتع بها في أحداث الرواية، وهو الذي حصل علي حريته أخيرا في نهاية الرواية. إن التدقيق فيما وراء الكلمات يعطينا أن هذه الكلمة كانت منتشرة في هذا الزمان وكان ذكرها نقدا لها، كما تم ذكر وانتقاد الأوروبيين في نفس الرواية.

و أخيرًا كلمة

لقد كانت أحداث الرواية رائعة لكل من يقرأها صغيرًا كان أم كبيرًا، فهي رواية مشوقة، وبعيدا عن كل الأبعاد الاجتماعية والسياسية والتي تحدثنا عنها فهي رواية مشوقة متتابعة وسريعة الأحداث تجذبك صفحاتها للقراءة والإقبال عليها حتي نهايتها بدون أن تلتفت إلي كل خلفيات الرواية الأخرى والتي زادت من روعة وجمال وعمق هذه الرواية.

وأخيرا شكرا للكاتب الأمريكي مارك توين علي هذا الإبداع و الإتقان والذي وصل لنا لننهل منه، ورغم أنه لم يشهد كل هذا النجاح الذي حققته روايته، و لم يشهد انتشارها في كل أنحاء العالم، ووصولها لقلوب وعقول الملايين، ولكن يكفيه فخرًا أنه كاتبها، وأن هذه الرواية وأعماله الأخرى جعلته خالدا في التاريخ وفي الاذهان بإبداعه، وحاضرًا في القلوب بأفكاره.

المصادر:

1-مغامرات هكلبري فين – مارك توين – ترجمة مختار السويفي –الهيئة المصرية العامة للكتاب-مهرجان القراءة للجميع 2007

2- مقال "مغامرات هاكلبري فن" لمارك توين- رون باورز- -http://www.america.gov/st/peopleplace #arabic/2010/May/20100507140829naneerg0.9239008.html

3- مقال مارك توين- ويكيبيديا الموسوعة الحرة- شبكة الانترنت

4- مقال مارك توين: الروائي والكاتب والساخر والمواطن العالمي- الاحتفال بالذكرى السنوية الـ 100 لوفاة مارك توين - بقلم شيلي فيشر فيشكين - -http://www.america.gov/st/peopleplace #arabic/2010/April/20100423154617naneerg7.790774e-02.html